بسم الله الرحمن الرحيم

نحو الأدب العام
مقدمة لدراسة قواعد المنهج العربى فى الأدب العام

كاظم الظواهرى

أستاذ بقسم الأدب والنقد

منذ عشر سنوات كتبت فى هذه المجلة مقالة بعنوان : مقدمة لدراسة قواعد المنهج العربى فى الدراسات المقارنة ، وكنت قد أزمعت أن أتم ما بدأت فى العام التالى ، ولكن طوارق الحدثان حالت دون ذلك ، فحمدا لله تعالى ، إذا إن تأخر النشر مكننى من أن أعيد النظر فيما نشرت ، وما أزمعت أن أنشره رجعت عن بعض منه ، وتبين لى خطأ بعض ، ولا سيما بعض المعلومات التاريخية التى تبين لى خطأ تتبع بعض المصادر غير الموثوق بها فيها .

غير أن الفكرة الأساسية لهذه المقالة ما زالت باقية وإن لم تكن قد أثرت التأثير المرجوّ لها فى مجرى الدراسات الأدبية المقارنة وتطورها ، على الرغم من أنها ليست الدراسة الوحيدة التى دعت إلى هذا المنهج ، وأحسب أن السبب فى ذلك هو أننا نكتب لمن لا يقرأون ، ويقرأ ما نكتب من لا يعنيهم ما نكتب .

وهذا لا يقدح فى بعض الدراسات الجادة التى عنيت بجعل محور التطبيقات فى الدراسة المقارنة وهدفها نفع أدب الأمة الاسلامية ، واللغة العربية . ولكنها تبقى فى النهاية قليلا من كثير من الدراسات الأخرى التى تبعت مدارس أخرى

فى الدراسة وصيغت بصيغتها ، وجعلت مصالح الآخرين غايتها . وتبقى أيضا قليلة بالقياس على حجم أقسام اللغة العربية وآدابها ، وأقسام اللغات الأخرى من شرقية وغربية ، وآدابها فى الجامعات المصرية ، وفى جامعة الأزهر وحدها ست كليات للغة العربية وآدابها ، وكلية للغات والترجمة فيها أقسام لسائر اللغات من شرقية وغربية ، للبنين ، ونظائر لها فى كليات البنات العديدة بالجامعة ، يشرف عليها جميعا مئات من المتخصصين المؤهلين لهذا النوع من الدراسات والمطالبين بنص قانون الجامعة ولائحتها بتحقيق رسالة الأزهر فى العالم الاسلامى ، والعالم أجمع ، وتزويد آلاف الطلاب الذين يؤمون هذه المنارات شوقا إلى هذا النوع من الدراسة بما يحتاجونه منها وما يؤهلهم لأداء رسالة هذه الجامعة فى المستقبل .

وعلى الرغم من كل هذه الأشجان التى سببها طغيان طوفان الدراسات المتأثرة بالحضارة الغربية ، الممجدة لمدنيتها ، المسبحة بحمد أربابها ، الممكنة للآخذين بأسبابها ، الناعية على الرافضين لها المحذرين منها ، نعود الى ما بدأنا فى الدراسة الأولى التى مضى عليها عشر سنوات تغيرت فيها صورة العالم بشكل لم يكن يخطر لنا على بال ، سواء فيما يتعلق بالأوضاع فى منطقتنا العربية الإسلامية ، والأوضاع العالمية من شرق وغرب ، بما يعود على فلسفة التصور المنهجى للدراسة الأدبية بكثير من الانعكاسات السلبية والايجابية على حد سواء . نعود الى ما بدأنا لإعلانا بالبناء ، ودعوتنا إليه ، ورفضنا للهدم ، واصرارنا على عدم الاستسلام لدعاته .

وقد مضى قرن من الزمان على بدء الدعوة إلى تغريب الحياة والثقافة والفكر والأدب فى بلادنا ، وما زال الصراع على أشده بين هذا الاتجاه الداعى إلى الدوران فى فلك الغرب والاتجاه المضاد الداعى إلى بناء صرح الحضارة الحديثة على دعائم مستمدة من تراثنا وحضارتنا وطبيعتنا وقيمنا .

ونحن نقرر لأول وهلة أننا من أتباع هذا المنهج الأخير العاملين على تحقيقه بكل ما وسعنا من طاقة وجهد إلى آخر رمق من الحياة ، ونفس نتنسمه على

هذه الأرض ، غير عابئين بما يسدد لنا من طعنات ، وما يوجه من اتهامات باطلة بالرجعية والتخلف والجمود والتطرف وغير ذلك مما يلقى جزافا ويعلم كل أحد بطلانها ، وأول من يعلم ذلك من ألقى الاتهام .

إن الأمم من حولنا لتدعو بدعوات ، تسعى من ورائها لتحقيق أقصى الغايات ، وتسلك فى سبيلها أكثر السبل اعوجاجا ليًّا للحقائق ، وتعمية على سبيل المنطق الحق ، فى سبيل تسخير الأمم من حولها ، تسلب خيراتها ، وتستعبد أهلها ، وتديرهم فى فلك مصالحها العليا ، ولا تستعمل فى ذلك سلاحا ولا تريق دما ، ولا تتكلف من الجهد إلا أقله ، توجهه إلى شيء واحد : الأدمغة ، نعم . . غسل الأدمغة هو ذلك الاستعمار الجديد ، الذى لا يستعمر أرضا ، ولا يريق دما ، ويحرص على حياة ضحاياه ، حرصه على حياة أبنائه ، ضمانا للأيدى العاملة الرخيصة يستنزف بها ثروات أرضهم لتمر من خلال أيديهم إليه بأبخس الأثمان ، وضمانا لسوق رائجة فيهم لبضائعه يشترونها بأبهظ الأثمان ، حتى وان قتل بها بعضهم بعضا .

كانت أنجع وسائل غسل الأدمغة ومحو الشخصيات فى عصرنا هذا . . . الكلمة ، الكلمة مسموعة ومقروءة ومعبرا عنها بأى شكل من الأشكال ، وأعانته مستحدثات الحضارة الحديثة على إرسالها إلى كل مكان ، وإنما إلى أعماق الأعماق ، فى داخل كل إنسان لتنسكب فى ضميره فتكون أقوى من كل صوت من حوله أو من داخل نفسه ، فزال بتأثيرها من نفوس كثير من الناس سلطان العقيدة والتقاليد ، والانتماء ، واللغة ، والأدب القومى ؛ بفعل نظريات نظمت هذا العمل ، ووقفت من ورائه توجه وترصد ، وهى ماضية فى عملها ولئن لم نكن لها بالمرصاد ستدرك غايتها ، قاضية على البقية الباقية منا لا محالة .

ولأجل أن نعرف ما يجب علينا عمله ، يلزم أن نعرف ما يعمله الآخرون وما نحن مطالبون بالتصدى له قبل ذلك .

وهناك أمران يتعلقان بدراستنا اتخذهما العالم الناهض من حولنا وسيلتين

رئيستين أدخلهما علينا محاولا من خلالهما محو شخصيتنا ، وهما فكرة الأدب العالمى ، ومنهج الأدب العام .

والأدب العالمى يوم كان فكرة فى ذهن الأديب الفيلسوف الألمانى جوته كان ذا مفهوم إنسانى بديع ، أما اليوم فشتان ما بين هذا ، وما يطلق عليه أدب عالمى ، إذ إنه يعنى مجموعة معينة مختارة من التراث الأدبى فى لغات بعينها بلغت مستوى معينا من الجودة ، وجازت شهرة جاوزت حدود اللغة والزمان والمكان ، فصارت تراثا إنسانيا عاما لكل البشر (انظر : فان تيجم : ١٤٧ وما بعدها ، جويار : المقدمة) . ولا شك أن هذا المفهوم عند التطبيق تشوبه فروق نسبية كبيرة باختلاف من يتناولونه لغة وقومية ، وقوة وضعفا ، وتشوبه مصالح الأمم وأهدافها الخاصة ، كما يشوبه خطأ الحكم ، ومصادفة الشهرة ، ومفارقات أخرى كثيرة ، تجعل من مفهوم الأدب العالمى أمرا مشبوها مشوها ، محاطا بهالة من البريق الكاذب المخادع الذى يختفى وراءه أناس يسرون الضحك والسخرية وراء أكمامهم من تلك الملايين من البشر المبهورة بهذا البريق الخادع الخلاب .

أما الأدب العام فهو مرحلة تالية للأدب المقارن تورخ للأدب على مستوى يستعلى فوق اللغات والقوميات مستفيدا من بحوث الأدب المقارن ومن التواريخ القومية للآداب واللغات ، على الرغم من الخلط بين مفهومه ومفهوم كل من الأدب المقارن والأدب العالمى ، إذ إن هناك من يذهب إلى أن الفرق بين الأدب المقارن والأدب العام هو أن الأول يؤرخ للصلات بين أدبين فقط والأخير يؤرخ لهذه الصلات على مستوى أكثر من لغتين ، وهناك من يذهب الى أن الأدب العالمى ما هو الا تاريخ الحركات الأدبية على مستوى العالم ، والاختلافات كثيرة فى هذا ولا يخفى ما وراءها من أسباب ترجع إلى ضعف المصطلحات ، وإلى حداثة الدراسات وقلة الخبرة بهذه العلوم الوليدة ، والى اختلافات المدارس والدارسين على المستويين الجماعى والفردى ، ثم الى تعارض المصالح بين كل فئة وأخرى (انظر : فان تيجيم – السابق ، سعيد علوش – مكونات الأدب المقارن : ٥٣ –

٨٠ نظرية الأدب : ٦٧ - ٧٥ ، ريمون طحان : ٩١ - ١١٦) .

وبعض هذا الخضم من الآراء له وجاهته وبعضه الآخر سطحى هزيل أو مغرض ، وفيها تجاهل لأبسط المفاهيم الراسخة فى الدراسة الأدبية كالتفريق بين الأدب أى الإبداع ، والتاريخ الأدبى كدراسة لهذا الابداع ، وشرط اثبات الصلة فى الدراسة المقارنة ، وهو غير وارد فى الأدب العام .

وبغض النظر عن تلك الاختلافات الفردية والمدرسية ، إننا ننظر إلى الأدب العالمى على أنه هو ذلك التراث الأدبى المدون الذى انتجه كل الأدباء فى الأجناس الأدبية العديدة فى كل اللغات الحية والمنقرضة على مر الزمان المؤرخ له ، وإلى ما شاء الله .

أما الأدب المقارن فهو ذلك العلم الذى يؤرخ للصلات والمؤثرات بين الآداب المختلفة اللغة .

والأدب العام هو ذلك العلم الذى يؤرخ للأدب العالمى ويتخذه مادة له ، على المستوى الإنسانى مستعليا فوق الإقليمية واللغات ، مفيدا من نتائج كل العلوم الأخرى التى تدرس الأدب من مقارنات وتاريخ ونقد ونظريات جمالية وبلاغية ، بالاضافة الى العلوم المتداخلة مع الدراسة الأدبية فى عملية تبادل المنافع كالتاريخ العام والفلسفة والاجتماع وعلم النفس وغيرها .

وإن كان هذا المفهوم نظريا وبعيد الاحتمال فى تحقيقه ، فإن المدارس الأدبية فى أوربا وأمريكا قد شمرت عن ساعديها منذ أمد يختلف من واحدتها للأخرى ، ويزيد عند بعضها عن قرن من الزمان ، وبدأت تعمل لتخطو نحو تحقيق ذلك الهدف ما تستطيعه من خطوات قبل غيرها حرصا على السبق وأخذ زمام عملية التاريخ بأيديها ليبقى تراثها فى مكانه اللائق به من لوحة شرف تاريخ الأداب الانسانية .

وإذا كانت هذه هى غاية المدارس فإنه لمن السذاجة بمكان أن ننتظر منهم أن

ينصفونا فى عصر نحن فيه الفريسة وهم الذئاب ، أو نحن القصعة العامرة ، وهم آكلوها . ومن السذاجة أيضا أن نقف مكتوفى الأيدى ونقول : وعلام نتعب أنفسنا فى الأمر ونعنيها ، فلندعهم يتعبون هم ، ثم نأخذ ثمرة ما أنتجوه لقاء حفنة دولارات من عوائد الزيت الكثيرة !

ولقد ثبت أن أكثر الدراسات التى خرجت الى النور حتى الآن لم تلتفت الى أدب العربية أو أى أدب إسلامى كتراث إنسانى ، ولم تعتد به ، بل إن كثيرا من هذه الدراسات لم تتعد حدود أوربة إلا إلى الولايات المتحدة ، ولم تجد نفعا صيحة فان تيجيم فى وجوب الاعتناء بالآداب ذات « الاشعاع المحدود » العناية التى تستحقها ، ووجوب مزجها داخليا بالستة أو السبعة الآداب الكبرى فى العالم الحديث ووضع كتابها البارزين موضعهم من التطور الأدبى العام من حيث إنها تنتسب إلى اللوحة العامة لأدب عصرها . (فان تيجيم : ١٧٨) . وبالتالى خرجت كل الدراسات التاريخية العامة خالية من أى إشارة ، مما يدل على أن أدبنا ربما لم يصل بعد إلى مرتبة أن يكون — فى أنظارهم — من الآداب ذات الإشعاع المحدود . ولا نظرية الأدب عندنا وصلت إلى مرتبة تؤهلها لأن يشار إليها فى كتاباتهم عن نظرية الأدب ، على الرغم من ثبوت دور الأدب العربى فى حركة الأدب العالمى لا من وجهة نظرنا فقط وإنما شهد بذلك منصفون من مستشرقيهم وفلاسفتهم وأدبائهم فى دراساتهم وأعمالهم الأدبية ، وآيات ذلك واضحة فى دراسات بالاسيوس ، وجنزالت بالنثيا وكراتشكوفسكى وغيرهم ، كما تنطق بها أعمال دانتى وشيكسبير وجوته وفولتير وتولستوى وكثيرين غيرهم ممن يوسمون بالعالمية ، وكذلك لا يخفى أثر بعض عيون التراث العربى فى الفكر الانسانى عامة والأدب خاصة ، ولئن تجرءوا على انكار دور أبى العلاء المعرى ، وابن شهيد ، والسير العربية ، وألف ليلة وليلة ، وأثر الأشعار الأندلسية فى أشعار الأوربيين وأغانيهم ، وبعض الأحداث كظهور الاسلام والفتوحات وفتح الأندلس والحروب الصليبية وفتح القسطنطينية . . . الخ ، وبعض الاتجاهات الفكرية

كأعمال فلاسفة المسلمين وشروحهم وترجماتهم لفلاسفة اليونان ، وبعض مواطن التلاقى كفلسطين إبان الحروب الصليبية والقسطنطينية قبلها وإبانها وبعدها ، والأندلس وصقلية وإيطاليا وغيرها . هل ينكرون أثر القرآن الكريم المباشر وغير المباشر فى التراث الانسانى بأسره منذ ظهوره حتى الآن وإلى ما شاء الله ؟ .

وسواء أكان كل ذلك قد أهمل تجاهلا واستعلاء أم أهمل جهلا وغباء أم حقدا وعماء ، فما كان لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بازاء ذلك ، وانما علينا أن نأخذ الزمام بأيدينا وأن نجد بأكثر مما يجد غيرنا حتى نلحق بالركب ونسبق ثم نسوق القافلة فى الاتجاه الصحيح .

واذا كان العالم يتجه الآن لتاريخ الأدب العام على المستوى العالمى ، فمن الأفضل لنا أن نتبعه آخذين مكاننا على خريطة ذلك التاريخ ، حرصا على الحصول على تاريخ منصف لأدبنا العربى ضمن هذه الموسوعة المستقبلية ، وابقاء على دورنا البناء فى المشاركة فيها ، كما كان شأننا دائما فى العلوم الانسانية ، وسائر العلوم .

كما أنه يكون غريبا حقا ومعيبا أن يتجه العالم هذا الاتجاه ، ونعكف نحن على شحذ الاقليمية والترويج لها ، فنشتت أنفسنا ويتجمع غيرنا ، ونكسر الواحد الصحيح - الأدب العربى - إلى أجزاء نطلق عليها بتفاخر شديد - لا مبرر له - ألقاب : أدب مصرى ، أدب مغربى ، أدب سورى . . الخ ، ويجبرون هم كسورهم ويبنون جسورهم متجهين نحو أدب عام عالمى هم قطب رحاه ، مارين فى الوقت الحالى بمرحلة : الأدب الأوربى ، الذى تم التأريخ له أو كاد .

اننا ونحن ندعو بهذه الدعوة نعلم أقرب ما يكون من اليقين أنه لن يكون الأدب العالمى أدبا واحد مهما تقاربت الأمم ، وزالت الحواجز ، ففى العلوم وحدها يمكن أن يكون العلم عالميا وواحدا ، مهما تعددت اللغات التى يقدم من خلالها ، فليست هناك هندسة صينية وأخرى أمريكية ، وثالثة فرنسية ، وان وجدت مدارس مختلفة للهندسة ، تكون القاعدة العلمية لها جميعا واحدة لأن

الحقيقة واحدة . وكذلك الفلسفة والمنطق والجمال فيها مدارس ولكن العلم واحد ، وسائر العلوم الطبيعية والانسانية كذلك ، أما الأدب فليس من المنظور أن تتوحد الآداب فى أدب واحد مهما تطاول الزمن وزالت الفروق بين الأمم ، الشىء الوحيد الذى يمكن هو تقارب الأفكار والافادة من ذلك التقارب من خلال محاولة توحيد الأساس النظرى - دراسة نظرية الأدب والنقد ، ومحاولة التأريخ العام ، دون أن - يتطلع من يقدم على هذه المحاولة إلى أن يتحقق من وراء ذلك توحد الآداب العالمية ، فهذا التطلع فى حد ذاته كفيل بالقضاء على محاولته ، لأن الأمم قد تستشعر من وراء محاولته هذه تعديا على سماتها القومية وشخصيتها المستقلة . وهو ما لن تقبله أمة من الأمم الا أمة كتب عليها الانقراض والفناء فى غيرها ، لأن قاعدة الأدب روحية ، أما العلم فدعامته العقل ، وشتان ما بينهما ، ولكن هذا لا يحول دون الاستفادة من الآداب الأجنبية مع الأصالة .

والأدب العام علم ، وقد يكتب النجاح لمحاولة تحقيق تأريخ للأدب العالمى من خلاله ، وتحقيق نظرية عامة للأدب ، من هذا المنطلق ولا سيما أن الظواهر الأدبية تنتشر كالموجة متخطية حدود اللغات فى كثير من الأحيان وترتحل عبرها ، وتتقارضها الأمم ، وهذا هو ما يضخع للدرس المقارن ، الذى يرصد الصلات الناجمة عن هذه التحركات ، والأدب العام الذى يهيمن على ذلك كله سواء ما خضع منه للدرس المقارن وما لم يدخل فيه ، وسواء منه ما ساعدت الظروف على انتشاره ، وما لم يتم له ذلك . أى أننا مع اعترافنا بالأدب العام وجدواه نستبعد تصور الأدب العالمى بالصورة التى تخيلها جوته . والأدب العام بحسب ما تقدم يتبين أنه ليس خيرا كله وإنما هو سلاح ذو حدين لأنه قد يستعمل فى مصلحة أمة من الأمم ، أو ضد مصلحة أمة أخرى لاغفال دورها فى حركة معينة أو نهضة من النهضات أو جحد فضلها أو الافتراء عليها من قبل دارسين مغرضين غير موضوعيين .

وقد تؤدى دراسة الأدب العام إلى تمييع القومية ، وذوبان الأمة فى غيرها ،

وفقدان الشخصية فى حالات الانهزام الحضارى ، ولا سيما إذا أعقب هذا الانهزام الحضارى مرحلة ضعف وانحطاط ، وهو ما ينجم عادة عن تلك الهزائم الحضارية .

ولهذا وذلك نقرر أنه لو كان الأمر بيدنا وخيرنا لأخترنا ألا يكون هناك أدب عام بالمرة ، ولكنه أمر لن يكون ، لأن منهج الأدب العام قد انطلق ، ولن يتوقف ، ولن يكبح جماحه ويمسك مقادته الا من يمتطيه ، ولقد امتطاه أمم من قبلنا ، ونخشى ان يتوجه الى حيث نكره ، بل ان المخاطر قد تصل إلى حد أن يمسك بمقادته من أبناء جلدتنا من لا يحسن أن يقوده . ولقد حدث مرات أن تقدم بعضهم إلى مآثر العرب فى العلوم والآداب بمحاولة الحط من شأنها ونسبة المنجزات الرفيعة فيها الى غير العرب ومازالت دعوة تلمذة الحضارة العربية للحضارة اليونانية منذ أحمد لطفى السيد وطه حسين ، لا يخبو أوارها الا ليشتعل من جديد بأيد جديدة ، وهذا أمين الخولى وهو من الشيوخ العلماء ! ! يجعل البلاغة العربية عالة على الفلسفة اليونانية فى محاضرة له بعنوان : البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، فى الجمعية الجغرافية ١٣٤٩ - ١٩٣١م .

تلك الفكرة التى ناهضتها دراسات كثيرة ، وجرد لها الزميل أحمد محمد على الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة نفسه لدحضها فى دراسته التى تقدم بها إلى الكلية ذاتها لنيل درجة العالمية سنة ١٤٠١ بعنوان : بلاغة السكاكى منهجا وتطبيقا ، حيث رد أصول البلاغة العربية إلى مناهج عربية أصيلة ، يعد الخليل بن أحمد من مصادرها الرئيسة وهى مستقرة فى عروضه وفى معجمه من قبل أن تترجم إلى العربية كلمة واحدة من الفلسفة اليونانية .

فإذا كان الأمر كذلك من بعض علمائنا فكيف بغيرهم ؟

ولهذا يتوجب علينا أن نكون سباقين فى هذا المضمار وألا ندع فرصة الا اغتنمناها .

* * * * *

إن تصورنا لتركيبة الأدب أنه يتدرج من المحلية إلى العالمية ، ويتدرج معه تاريخه فى تسلسل مطرد على نحو منطقى ، محافظا على نوع من العطاء والأخذ والرد فيما يشبه التقارض الذى لا يتوقف عند حد الأدب وتاريخه ، ولا يتعدى فقط إلى نقده وبلاغته ونظرياته الجمالية فحسب ، بل يتعدى ذلك الى كثير من المعارف والعلوم التى لا غنى عنها للأدب ولا غنى لها عنه كالتاريخ والاجتماع وعلم النفس . . . الخ فمستويات الابداع الأدبى تبدأ من المستوى الشعبى لدى الأمم البدائية ونظائرها المعاصرة إلى الآداب المحلية الفصحى والقومية ثم ترتقى بعد الى العالمية بمفهومها المقرر قبل .

وعلوم تاريخ الأدب أيضا تتدرج معه اطرادا هكذا : علم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، ثم علم تاريخ الأدب ، ثم الأدب المقارن ، ثم الأدب العام :

(١) أدب شعبى : - (أنثروبولوجيا + علم اجتماع) « فوكلور » .

(٢) أدب محلى وقومى (اللغة) : - تاريخ أدب .

(٣) مستوى التواصل بين الآداب (خارج اللغة) : - أدب مقارن .

(٤) أدب عالمى : - الأدب العام .

وهذا يؤكد على ما ذكرناه آنفا من أن وظيفة الأدب العام هى التأريخ للأدب على مستوى العالم ، فى تطور أنواعه وأجناسه وظواهر انتشاره وتقهقره متخذا العلامات البارزة فى الأدب العالمى محورا لهذا الدرس وذلك التاريخ ومستعملا كل النتائج المقررة التى توصلت إليها تواريخ الآداب القومية ، والأدب المقارن والنظريات الأدبية ، والدراسات النقدية من قبل . والتى أكدت أحقية تلك الظواهر وهذه العلامات للمكانة التى نالتها على خارطة الأدب العالمى بالتالى (غنيمى هلال : ٤١٤) .

وتفترض نظرية الأدب العام أن الأدب الانسانى على مستوى العالم تحكمه قوانين أساسية واحدة تتصل بالفن والابداع من جهة ، وبالنفس الانسانية والعواطف البشرية وحاجات الانسان الروحية من جهة ثانية ، وبعلاقة الأدب

بالبيئة والمجتمع والتحركات السياسية والحضارية والعوامل الاقتصادية من جهة ثالثة ، وبالحياة العقلية والثقافية والحضارية وما يتصل بها من جهة رابعة ، وهذه يدخل فى إطارها الموروث التاريخى والدينى والعقلى والأدبى للمحيط الابداعى ، وخامسا تأتى علاقة الأدب باللغة من حيث هى أداة له ، ومن حيث هى الفارق الجوهرى بين الآداب ، والعامل الأول من عوامل اختلافها يليه عوامل أخرى تتفرع على ما سبق . وأخيرا يأتى قانون المجال أو الانتشار حيث تستعلى الظاهرة فى كثير من الأحيان على اللغات وتنتشر متخطية إياها كالموجة عبر المحيط البشرى فيؤثر فى تدرجها على نحو غير مطرد .

هذا منطلق أساسى من منطلقات نظرية الأدب ، يجعل الدرس يسير فى اتجاه صحيح ، يراعى أوجه الاتفاق والاختلاف بين الآداب ، ويطمئن كل أمة إلى أن هذا النوع من الدراسة لا يشكل اعتداء على سماتها وقوميتها واستقلالها ، أما افتراض أن الأدب الانسانى على مستوى العالم كل لا يتجزأ وإن اختلفت اللغات ، وأن جميع الظواهر الأدبية وما تنبع منه وما يترتب عليها تنتشر عبر اللغات بصورة جبرية ، فيطرأ عليها من جراء ذلك نمو وتطور كنمو الكائن الحى حتى تكتمل ، ثم يعتريها المرض والوهن وتشيخ وتهرم وتموت ، كالكائن الحى فى مراحل عمره ، طال أو قصر ، وتعقب أولادا وتعايشهم ، أو تموت عنهم ويبقون ، أو تبقى ويفنون ، فهذا أمر مبالغ فيه إلى حد غير مقبول ، كذلك القول بأن الظواهر الأدبية تخضع لنظرية التطور أو النشوء والارتقاء (نظرية داروين) من مبدأ الخلق الى الانقراض مرورا بانسلاخ الأنواع من بعضها ، ومن الواضح أن الذين قالوا بهذا قد سقطوا « فى وهدة الريبة حين وازوا موازاة شديدة القرب بين التغير الأدبى والتطور » « البيولوجى » (نظرية الأدب : ٦٢) ، وقد تعرض برونتيير الذى فتن بهذه النظرية وأخضع لها الظواهر الأدبية ، ومن شايعه فى هذه الفتنة تعرضوا لكثير من النقد القاسى المرير . وكذلك الذين طبقوا جدول مندليف لترتيب العناصر بحسب أوزانها الذرية ، وحاولوا البحث عن ظواهر أدبية هى أبسط صورة

للأدب ، كالباروك الذى كان منتشرا لدى بعض أدباء الأسبان والفرنسيين والألمان فى عصر الكلاسيكية ومناهضا لها . وقد بدا الافتعال واضحا فى المشابهة بين هذه الظواهر ونظريات العلوم ، وكان تأثيره سيئا فى مجريات الدراسة الأدبية ، كما أنه قد يدفع بعض الأمم إلى التوجس من هذه الأنماط من الدراسة التى تتجاهل السمات التى تفردها من غيرها من الأمم .

والأدب العام يعنى بالحقائق الأدبية والأفكار والمشاعر الانسانية العامة التى يشترك فيها الجنس البشرى ، وتصبح دراستها فى أدب واحد ناقصة ولا تكمل ، إلا بدراستها فى الآداب المختلفة التى شاعت فيها ونمت وتطورت على مر العصور ، بخلاف تاريخ الأدب القومى الذى يدرس كل الأفكار والحقائق الأدبية العامة - أى الانسانية - والخاصة - أى المحلية - داخل أدب لغة واحدة ، ومن هنا ندرك أن الأدب العام لا يصلح بديلا عن ألأدب القومى ، والعكس كذلك . (أنظر : غنيمى هلال : ٤١٤) .

الأدب العام علم واسع رحب ، متعدد المجالات والاهتمامات ومادته تنتشر بلا حد ولا حصر عبر آماد زمنية يصعب الاتفاق على أوائلها ، ولا آخر لها ، وعبر مسافات وبقاع تغطى وجه البسيطة ، ومن خلال عدد يصعب حصره من اللغات واللهجات فى العالم القديم والحديث ، كما أن له اتصالا بكثير من الفنون الجميلة التقليدية والأخرى المستحدثة مع التطور التكنولوجى ، وله اتصال أيضا بأنواع من المعارف لا يستغنى عنها ولا ينهض بدونها وعلى رأسها التاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والجغرافية ، وغيرها . كل هذا بالاضافة الى علوم تاريخ الأداب القومية للأمم واللغات ، ودراسات الأدب المقارن ، وقواعد الأدب ونظرياته وبلاغته ونقده ، مما يشكل صرحا ضخما أمام الدارسين الذين لا يستطيعون أن يقدموا عليه فرادى بحال من الأحوال ، وانما الذى يصلح لهذا النوع من الدراسات أن تتجرد له مجموعات الدرس والبحث ، والأقسام العلمية المتخصصة فى سائر الجامعات من خلال خطة عامة مقررة مدروسة بدقة

وموضوعة بإحكام واتقان شديدين ، وكل هذا يلزمه فلسفة للتخطيط والدرس ، وهذا ما قامت به مدارس عديدة فى العالم الغربى يتربع على رأسها مدرسة المقارنين الفرنسيين ثم مدرسة المقارنين الأمريكيين (انظر شوق السكرى : ٢٣ - ٣٤) .

وتقوم خطة عمل كل مدرسة من مدارس الأدب العام على فلسفة نظرية الأدب من خلال الموروث الفلسفى والجمالى والاجتماعى والأدبى والنقدى الذى يقع تحت يد أرباب هذه المدرسة ويحوز رضاهم ، ثم القيام بعملية تأريخ للموروث الأدبى العالمى من خلال ما يقع أيضا لأرباب هذه المدرسة من ذلك الموروث ويحوز رضاهم ويستقيم ومنهجهم ومصلحتهم (وهذا يتبين جليا فى دراسة شوق السكرى المذكورة آنفا ، ودراسة سعيد عوش عن مدارس الأدب المقارن) .

وهم يؤرخون لهذا الموروث فيما يتعلق بالنهضات الأدبية الشهيرة واشعاعاتها فيما حولها من آداب اللغات الأخرى ، وهو ما يسمى بالتحركات الأدبية ، وثانيا : الأجناس الأدبية (فنون الأدب) وسماتها المختلفة على محاور الزمان والمكان واللغة وتطورها ونموها تقلصها وانحسارها وموتها أو تفرعها الى غيرها وتوالده منها . . . الخ وثالثا : الموضوعات والحبكات والمواقف الأدبية والنماذج البشرية ، ومصادرها من تاريخ وأسطورة وأدب وغير ذلك ، ورابعا : الاتجاهات الفنية والمذاهب منذ بزوغها فى الأدب القومى وتحولها الى اتجاه عام وسريانها خارج لغتها وانتشارها حتى تصير اتجاها عالميا مؤثرا ، اذا تحقق لها ذلك ، ثم انحسارها بفعل اتجاهات أخرى تطغى عليها أو بانصراف الناس عنها ، أو لارتباطها بحيوات أصحابها ، أو بعامل آخر موقوت لا يقوى على الزمن .

وكذلك دراسة العلوم المصاحبة للأدب ، والتى تخدمه وتؤثر فيه كالترجمة وتاريخ الأدب والنقد والنظريات البلاغية والجمالية ، وكل ما يتصل بالنظريات الأدبية ويؤدى الى نضجها والتأكيد من تجرد فلسفتها وسلامة قواعدها ، وهذا يستدعى من المؤرخ العام أن يكون على علم بالخارطة الجغرافية ، وتوزيعات اللغات وعائلاتها ، وبخارطة التاريخ العام والتحركات الحضارية والهجرات التاريخية

الكبرى بالقدر الذى يفسر التحركات الأدبية ويعين على فهمها ، وبعلم الاجتماع كذلك .

أما فى المصادر والكتب فإنه لابد وأن يكون قادرا على التوصل الى ما تستدعيه دراسته منها بلا حدود ، وقد زللت الأجهزة الحديثة من حاسبات وخازنات ومصورات هذه العقبة بما يمكن الدارس من الحصول على فهرسة على قدر متقدم من الدقة يوفر عليه الكثير من الجهد والوقت ولكنه مع ذلك لابد أن يكون قادرا على صناعة الفهرسات ، والتدقيق فى الفهرسات السابقة ، واتمام النقص فيها ، وقد نال علم القوائم (الببليوجرافيات) من المقارنين والمؤرخين عناية فائقة فى القرن الحالى ، وما زالت جهودهم فى ذلك فائقة كل تصور مع مسايرتها للإمكانات واستغلالها إياها ، وهى من أهم مجالات الدراسة فى الأدب العام ، حيث تعد أداة للتوصل الى تاريخ أقرب ما يكون الى الدقة للأدب العام ، وكذلك اللوحات التركيبية (الزمان لغوية - الموضوعية) ، التى تملك قدرة فائقة على إبراز مكونات الموضوعات وتسلسل تطورها وتبادلها بين آداب اللغات وإبراز دور كل من هذه الآداب فى حركة ذلك التطور واكتشاف الحلقات المفقودة فى التواصل بينها وفى تاريخ تطور الفكرة ، الفن ، . . . . . الخ .

ففكرة كفكرة رحلة الأحياء الى عالم الغيب أو (عالم ما وراء المادة أو عالم الروح أو عالم الأموات أو العوالم السفلية - كما تسمى عند بعض الأمم) هى من الأفكار القديمة جدًا فى الدين والأدب عند كثير من الأمم ، ولها دلالتها العميقة على أشواق البشر الجارفة نحو تلك العوالم التى تمثل المثالية ، والخلاص والراحة الأبدية والنعيم الدائم ، وهذه الأشواق المطردة لدى كثير من طوائف البشر فى مختلف الأزمان لها دلالتها الدينية والاجتماعية والسياسية التى تتمثل فى مظهرها الأدبى الإبداعى ، ويمكن من خلال لوحة زمانية بيان كثير من الحقائق العلمية التى تتعلق بهذه الفكرة ، من حيث منابعها القديمة عند الأمم البائدة ، ولا سيما الأمم الشرقية وكذلك مصادرها الدينية ، والأمم التى شاعت فيها واستمر ظهورها

فى الآثار الأدبية ، والعصور التى تركزت فيها عناية الأمم بها ، ومدى علاقة ذلك بالظواهر الاجتماعية والسياسية التى سادت فى تلك العصور ، وقد قمنا بإعداد مشروع لوحة من هذا النوع لتعقب هذه الفكرة اعتمدنا فيها على كل ما وقع تحت أيدينا من المصادر والدراسات التى عنيت بها ، وتركنا فيها فجوات تسمح بإضافة المزيد على بعدى الزمان - أعلى وأسفل اللوحة - ، والمكان واللغة على يسارها وعلى البعدين معا فى داخلها فى الأماكن المظللة والبيضاء .

وأحسب أن هذه اللوحة قادرة على إظهار أن هذه الفكرة قد نبعت من الشرق ، الذى سبق الغرب فيها بمئات السنين ، وأن بعض الديانات السماوية كان لها تأثير عكسى عليها كالمسيحية ، وأن أمة الإسلام واللغة العربية كانتا أخصب الأمم واللغات فى هذا المجال ، وأن ذروة شيوع الفكرة بتأثير قصة (المعراج) الإسلامية . كانت فى القرن الثالث عشر الميلادى الذى ولد فيه دانتى (١٢٦٥ - ١٣٢١) ، الذى أصدر كوميدياه ابتداء من سنة ١٣٠٦ ، وأن الفكرة اختفت فى الغرب بعد ذلك إلا فى أثر وحيد للوردبيرون الانجليزى (١٦٠٨ - ١٦٧٤م) ، وأن أولى الدراسات التى أشارت إلى ريادة الشرق للغرب فى هذه الفكرة هى دراسة عبد الرحيم أحمد سنة ١٨٩٧ ، التى تبدو وكأنها كانت مفجرًا لطوفان الدراسات التالية حتى يومنا هذا .

ولعل هذه الفكرة الرائدة العريقة كانت منبعا ومصدر الهام لكثير من الكتاب والقصاصين الذين خاضوا فى قصص الخيال العلمى الذى يبشر برحلات كثيرة إلى عوالم مجهولة ، كانت قبل عصرنا (غيبا) يستحيل الوصول إليه إلا على نبى أو ملك أو جن ، ولعلها أيضا أحد دوافع حمى غزو الفضاء التى أصابت بعض الحضارات المادية المعاصرة ، والتى قد يكون لها أثرها فى نجاة البشر من ويلات مستقبلية لا نعلمها ، أو إعمار كواكب ما زالت غير مأهولة أو اكتشاف الحياة على غيرها والتواصل مع سكانها .

كل هذا يبرز بوضوح مدى جدوى هذه اللوحات للدارس المقارن ولمؤرخ

الأدب العام ، فى اكتشاف الحقائق فيما يتعلق بالأفكار والفنون ، وفى تصحيح المفاهيم ، والوصول إلى أدق تصور لفكرة أو لجنس أدبى فى النشأة والتطور والشيوع والتحول والاندثار . . . إلخ .

وهذه اللوحات والفهرسات تختلف عن الفهرسات الموضوعية الرائدة فى التراث العربى القديم والحديث ، وان كانت أفادت منها حتما ، وبنت عليها واستعارت بعض مناهجها ، ذلك أنها تطعن فى التاريخ القديم الى ما قبل التاريخ المعروف للأدب العربى بما يصل الى ألفى عام ويزيد كلما كشف عن شىء من آثار الأمم ، وتأخذ فى رصد كل فن من فنون الأدب على اتساع رقعته ومدار زمانه إلى نهاية مطافه باقيا كان أو مندثرا أو متحللا الى غيره بما يوضح ما انتهى اليه ، وأثر كل أمة من الأمم ولغة من اللغات وأدب من الآداب فى حركة تطوره ومآله .

وهنا يأتى فن الترجمة اللغوية أى من لغة إلى لغة ليفرض نفسه كمجال من أهم مجالات الأدب العام من منظورين :

الأول : ينظر اليها على أنها وسيلة من وسائل التعرف على الآداب تمهيدا لدرسها ، وتصنيفها ، ولصعوبة التوصل الى كل الآداب فى لغاتها ، للدارس الذى يستحيل أن يقرأ بأكثر من ثلاث أو أربع لغات الا فى حالات نادرة .

الثاني : أن الترجمة تعد وسيلة تواصل بين الآداب والأمم على مر التاريخ ، ولهذا فانها تعامل من هذا المنظور كفن أدبى ، ويحسب تراثها فى ميزان اللغات الأكثر اسهاما فيها كوسيط من وسائط نقل الأفكار بين الأمم والأجيال من خلاله . كما حسب للعربية فضل التعريف بتراث اليونان من خلال ترجمتهم فى العصور الوسطى .

وفى الأدب العام تقل مشكلات الترجمة ، ويتجاوز عن كثير من المحاذير التى كانت تحد من الاعتماد عليها فى الدراسات المقارنة لشدة الحاجة اليها ، ولأن قضايا

الأدب العام يمكن أن تزداد تعقيدا لو قيد التعامل مع المترجمات بتلك القيود الصارمة التى تعامل بها من قبل المقارنين .

أما الترجمة التاريخية بمعنى التعريف بالأشخاص من أصحاب الانجازات المذكورة فى شتى المجالات ، فإنها أيضا من المجالات ذات الخطر والشأن فى الأدب العام من منظرين :

الأول : ينظر اليها على أنها وسيلة من وسائل رصد المعلومات الأدبية ، وتيسير الوصول اليها فى مصادرها وتوثيقها ، وبيان الظروف المحيطة بكل نص أو فن أو ظاهرة ترتبط بمؤلفها وبيئتها وعصرها .

والثانى : يتعامل معها على أنها فن من فنون الأدب له رجاله والمبدعون فيه على مر التاريخ الأدبى ، وهذا مجال نرى للعرب سبقا لا يدانيهم غيرهم فيه ، حتى إننا لا نبالغ إذا قلنا إن صناعه وأربابه من سائر اللغات عالة على العرب فيه .

ومن مجالات الأدب العام المهمة تعقب المقاربات ، وهى المظاهر المتشابهة بين الآداب ، على حين يعنى الأدب المقارن بالمقارنات ، ويسقط المقاربات التى تثبت بينها صلات بينة أو حتى مظنونة . (فان تيجيم : ١٩٤) .

وبحث المقاربات حتما يجر الى دراسة البيئة والمجتمع والثقافة والتاريخ من أجل تبين أسباب حدوث المقاربة وتفسيرها ، والاستفادة منها فى التقريب بين الآداب وتقويم مسيرتها .

ومن الجدير بالذكر أن الخلاف حول جدوى المقاربات وأحقية درسها كان من أسباب افتراق المدارس المقارنية ، ونحن لا نتبنى رأى مدرسة من المدارس ، وانما نبحث عما يصلح لنا ويصلحنا ، ودراسة المقاربات قد تدخل عندنا فى باب المقارنات ، ولكنها بالقطع باب من أبواب الأدب العام له دلالته فى تاريخ الأدب العالمى الذى يهدف ، فيما يرنو اليه ، إلى إبراز مواطن التلاقى بين الأفكار والأذواق لدى البشر أجمعين ، بل إن من طموحاته أن يعمل على زيادة هذا

التقارب ، وزيادة مواطن التلاقى بين الأمم ، ليحل السلام بدل الحرب على الأرض ، حيث إن كثيرا من الحروب قد نشأت من اختلاف الأفكار وتعارض العقائد ، والسلام مرهون فى هذا النوع من المنازعات بتلاقى الأفكار أو تقاربها ، عسى أن يتحقق ذلك الحلم القديم للجنس البشرى (فان تيجيم : ٢١٣).

وكل ذلك يقود حتما الى دراسة علم جديد ويستدعيه ، وهو علم تاريخ الأفكار ، وهو مخالف لتاريخ الفكر ، فهذا مجاله متصل بالعلم ، أما تاريخ الأفكار بمرتبط بالثقافة ، ومن ثمة فإنه يتصل بالأدب اتصالا وثيقا ، لأنه يقوم على البحث فى كل الظواهر الثقافية ، فى محيط ما ، عن روح هذا المحيط وما يتخلله ويشيع فيه من أفكار محاولا اجتياز كل اعتبارات الفرديات والوطنيات واللغات لتعقب تيارات الأفكار ، وذلك داخل بالقطع فى اطار الأدب العام .

ولهذا العلم مستويان احدهما تجريدى ويسمى علم الأفكار ، والثانى تاريخى تطبيقى هو تاريخ الأفكار ، وقد تطورت دراسة الأفكار على هذين المستويين فى العالم المتحضر بادئة من الولايات المتحدة فى منتصف هذا القرن الميلادى ، حتى جعلت لكل منهما مجالات للدرس وقوانين تحكمها .

فعلى المستوى النظرى تقوم ظاهرة الفكرة على قوانين ثلاثة :

١ - التوزيع : فيما يتعلق بحاملى الأفكار وناشريها ومتلقيها ، ومساراتها النظرية (الأيديولوجية) وأدواتها من كلام وكتابة وصورة ، وحركاتها الجماعية كاللغات والمناخات الثقافية ، وظواهر التجديد ودعوات الحداثة ، والأجواء اللسانية أى اللغات الأكثر غلبة وشيوعا التى تتبعها غلبة أفكار الناطقين بها وشيوعها .

٢ - الفضاء - أو المجال : فيما يتعلق بالفرد من فكرة ومزاج ، وفكرة وحدث ، وفكرة ونضج عقلى . أى ما يجىء على البديهة وما يتبع حادثة ويستوحى منها أو ما ينتجه الفكر الناضج . وكذلك فيما يتعلق بالأسرة من أثر تعاقب الأجيال فى الفكرة وتطورها ، ثم المستوى الاجتماعى فيما يتعلق بالمهنة

والطبقة والانتماء وتأثر الأفكار بكل ذلك فى نشأتها وتطورها وانتقالها .

٣ - التطور : وهذا يتدرج مع الفكرة منذ تولدها فى مرحلتها الجنينية ، كالحكاية والفوكلور والأغنية والأسطورة ، الى نموها (أى الفكرة) والمؤثرات فيها كظاهرة تداعى الأفكار ، ثم مرحلة نضجها فى البناء والاقتناء ، ثم الشيخوخة بالتقلص فى مجالها ، وغموضها والاستغناء عنها .

اما على المستوى التاريخى فإن الدراسة تتناول الآتى :

١ - دراسة المحاور العقدية (الأيديولوجية) الكبرى : كفكرة الايمان بالغيب أو بالطبيعة ، والجبر والاختيار ، والعلم والفن ، وهذا يتطلب تصنيف المضامين الآساسية للأفكار الانسانية الكبرى فى الموروث الثقافى فى اللغات كلها .

٢ - دراسة الآفكار الآسرة ، وهى آفاق المحاور السابقة وتحديد البناء الداخلى لأنظمتها .

٣ - دراسة الأفكار الخاصة . (مكونات الأدب المقارن : ٣٢٧ - ٣٣٠) .

والأدب : أى الابداع ينقسم من حيث تاريخ الأفكار إلى فصيلين ، أولهما الذى يكون صدى للأفكار السائدة والسابقة ، والآخر الذى يبدع الأفكار ويكون مصدرها الذى تعرف وتنتشر من خلاله وهذا هو الأدب العالى الذى يقود الأمم ويحركها ويحدث التحولات الكبرى فى تاريخ البشر .

وأيا كان الأمر فتاريخ الأدب العام يكون علما ناقصا ما لم يسترشد بهذا العلم ، وقريبا سيغدو تاريخ الأفكار حجر الأساس فى التفكير الأدبى والأدب العام ، ولن يكون هذا ايذانا بتوارى التوجه الجمالى للأدب من حيث هو فن بل انه سيدعمه ولن يكون ذلك على حسابه . (السابق : ص ٣٣١) وسيكون الأدب العام مهيأ لاستقبال أكبر عدد من الأحداث والعلائق القادرة على أن تقود الى نتائج واسعة ، والتنسيق بينها ، الشىء الذى قد يجعل الأدب العام يحتل مرتبة تعادل تلك التى تحتلها كافة العلوم الانسانية ، ولعل هذا الطموح يكون مبالغا فيه الى حد ما ، وفيه شىء من التعميم (السابق : ٣٣٢) الا أن ذلك ان لم يكن حقا ، فهو مفيد

من حيث هو تعبير عن مدى أهمية هذا العلم الجديد ، وما يحدو المشتغلين به من آمال ، من حيث امكانية استثمار تاريخ الأفكار وتاريخ الأدب العام فى تحديد الحوافز والحاجات التى تكون الخلفية الفكرية للظاهرة الأدبية العربية الحديثة . (السابق : ٣٣٣) . وما ذاك إلا لصعوبة الفصل بين التاريخ الأدبى وتاريخ الأفكار بحيث يصعب اكتشاف ما اذا كان السر فى نجاح مؤلفات مونتسكيو وفولتير وروسو مثلا يرجع الى الأفكار أو الى الأسلوب الفنى الذى عرضت به (فان تيجيم : ١١٣) .

وفى الأدب العام تدرس جزئيات التاريخ الأدبى دراسة مستفيضة ثم يتم وضع كل النتائج التى يتم اختبارها فى موضعها من هيكل البناء العام للتاريخ العام للأدب ، كمسألة : أولية الشعر ، ونشأة النثر الفنى ، والرسائل الأدبية ، والكتابة الديوانية ، وارتباط الملحمة بالأسطورة ، وارتباط المسرح بالديانات القديمة الوثنية ، وتحول المسرح من الشعر الى النثر ، وموت الملحمة والمأساة ، ونشأة القصة الفنية ، والصلة بين القصة الفنية وفن المقامات . . . . الخ كلها جزئيات تدرس دراسة متعمقة مستفيضة بهدف التوصل الى التصور العام لنشأتها وتطورها فى منشأها الأول (الأمة - الزمن - اللغة) وعبورا من كل ذلك الى آخر ما وصلت اليه المسألة ، ثم يتم وصلها بما حولها وما بعدها فى الفن الأدبى الذى تنتمى اليه ، وبعد ضم كل مسألة الى قرينتها فى تصور عام ، وتتضام كل النتائج فى بناء متكامل هو بناء الأدب العام .

ويتم خلال ضم المسائل الدقيقة بحث العلاقات بين الفنون ورسم سلسلة تطورها فمسألة تطور التعبير المجازى مثلا ، ومسألة الغموض فى الشعر ، ومسألة الرمز ومسألة الأسطورة ، ومسألة الاسقاط التاريخى لابد عند تضام أجزاء التصور الكامل لتطور الأدب أن تدرس العلاقات بينها وعوامل اللجوء اليها فى البيئة والتاريخ العام ومن ثمة سنجد أنفسنا نجيب عن تساؤلات ظلت قائمة منذ أمد بعيد ، حول ما اذا كان الغموض والرمز والأسطورة قد تطورت عن التعبير المجازى

لضرورة التجويد أو بدوافع اجتماعية وسياسية أو أنها قد نشأت نشأة خاصة منفصلة عن المجاز كظاهرة أدبية مستقلة قائمة بذاتها .

وكل تلك المسائل يتم بحثها بمنأى عن اللغات ، ولكن مع ذكر محل تولد الفكرة ومحل تطورها فى كل مرحلة من مراحل ذلك التطور ، فتطور المسرح يدرس منذ إسخيلوس الى اليوم مرورا بسوفوكل ويوربيدز وارستوفان اليونانيين وسنيكا وتيرانس وبلاوتوس الرومان ، وكليدازا الهندى ، ودوز فيتا الايطالية ، وشيكسبير ومارلو وبن جونسون الانجليز ولوبيه دى فيجا كاربيو وبيدرو كالا يرون دى لاباركا الأسبانيين وكورنى وراسين وموليير وفولتير الفرنسيين وزاكس وليسنج وجوته وشيللر الألمان ، وفيكتور هيجو والكسندردوماس الابن الفرنسيين وشيللى وبيرون الانجليزيين وإبسن النرويجى وتولستوى وتشيخوف وجوركى الروس ، وسترندبرج السويدى برناردشو الايرلندى وبيراندبلو الايطالى ويوجين أونيل واليوت الأمريكيين وجان جيرودو وجان كوكتو وأندريه جيد الفرنسيين ووليم سارويان وتنيسى وليامز وآرثر ميللر ، الأمريكيين ، وأحمد شوقى وعزيز أباظة وعلى باكثير وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وابراهيم رمزى وبشر فارس وكاتب ياسين العرب وغيرهم دون نظر الى اللغة ، فالانتقال من شيكسبير الى فولتير الى جوته الى شو إلى شوقى فى الأدب العام كالانتقال فى آداب اللغات من شيكسبير الى شو إلى ميللر - الذين يكتبون بالانجليزية مع اختلاف قومياتهم - او من شوقى الى عزيز أباظة .

ولا يهولننا ضخامة هذا التصور لمن ينظره من جهة بنائه المتكامل ، ولا يهونن شأنه لمن ينظر إليه من جهة دراسة الجزئيات ، فبين هذا وذاك يضيع العلم بين اليأس والطمع ، فأما من جهة الجزئيات فإن حصرها ليس بالشيء الهين ، لأن المجال الزمانى والمكانى لها يجعلها فى حكم عظائم الأمور ، وأما البناء الكلى فإن مشاركة أعداد كبيرة من الدارسين من مختلف الأمم فى بنائه تعد بتحقق الكثير مما يطمح إليه فيه .

ولقد سبق أن حاول كثير من الدارسين فرادى وجماعات أن يدرسوا مسائل من ذلك ونجحت محاولاتهم إلى حد بعيد ، من وجهة نظر الدارسين الذين ينظرون بمنظار الغرب ، ومهما يكن موقفنا من دراساتهم من وجهة نظرنا (القومية) ، فإننا نرى أن ما حققوه على الصعيد العلمى يمنحنا أملا كبيرا فى إمكان تحقق ما نصبو إليه من تأسيس صرح الأدب العام من وجهة نظرنا .

هذا وإن دراسة الأدب العام فى كل هذه المجالات ستبرز حتما دور العرب فيها بما يتيح لهم ما لا تتيحه هذه الدراسات ذاتها من قبل غيرهم ، كأدب الرحلات مثلا ، فإن دراسته قادرة على وضع أمثال المسعودى (٣٤٦) والمقدسى (٣٨٠) وأبى حيان التوحيدى (٤١٤) ، وابى الريحانى البيرونى (٤٤٠) والإدريسى (٥٦٠) ، وابن جبير (٦١٤) ، وياقوت الحموى (٦٢٦) ، وعبد اللطيف البغدادى (٦٢٩) ، وابن بطوطة (٧٧٩) ، وابن خلدون (٨٠٨) وابن ماجد (بعد ٩٠٤) وغيرهم من قدامى الرحالة العرب فى موضعهم اللائق بهم من تاريخ هذا الفن الأدبى ، هم ومن تبعوهم من المحدثين أمثال محمد بن عمر التونسى (١٨٥٧م) ، ورفاعة الطهطاوى (١٨٧٣م) ، وأحمد فارس الشدياق (١٨٨٧م) ، وخير الدين التونسى (١٨٩٠م) ، وأحمد حسنين (١٩٤٦م) ، وحسين فوزى (١٩٨٨م) ، وأنيس منصور وغيرهم ، الأمر الذى سيظهر مدى عمق هذا الفن الأدبى الفعال الرائد وأصالته فى أدبنا العربى قديمه وحديثه ، ويبين فضل العرب فى الكشوف الجغرافية ، وهو من الأمور التى يسعى الغرب جاهدا فى جحدها وإخفائها ، وكذلك الرحلات الخيالية إلى العوالم البعيدة أو الغيبية ، والقصص الفلسفى وغيرها من الفنون الرائدة .

ولكل ذلك نرى أن دخولنا عصر الأدب العام قد حان ، لما فى ذلك من فائدة مزدوجة تعود على حضارتنا بالنفع فى اظهار مالها من قدم راسخة فى مجال الأدب والعلوم اللغوية وسائر العلوم الانسانية من جهة ، وتعود أيضا بالنفع من جهة أخرى على مستقبل الحركة الأدبية والدراسات الأدبية العربية باستعادة الثقة

المفقودة فى موروثنا وماضينا ، وبتصحيح مسار تلك الحركة وتلك الدراسات من جهة أخرى .

وبدهى أن دارس الأدب العام العربى عندما يقدم على الدراسة سينظر فى دراسات الأوربيين للتعرف على مناهجهم والاسترشاد بخبراتهم ، وسيجد ما وصفناه آنفا ماثلا أمامه فى التجاهل أو الجهل الفاضح والنرجسية التى تتسم بها دراساتهم وقوائم فهرساتهم التى أعدت لتخدم الدراسات المقارنة والأدب العام ، فمنهم من يعد اللغات التى تهم المقارنين عشرا ، كلها أوربية قديمة وحديثة ، ومنهم من لا يضم شيئا يذكر فى دراساته ودورياته عن التأثيرات الشرقية ، ومن ذلك أن الببليوجرافية الضخمة التى أعدها بالدينسبرجر فى الأدب المقارن لا تضم سوى مادة لا تتجاوز صفحة واحدة عن التأثيرات الشرقية من بين ثلاثة وثلاثين ألف عنوان هى مجموع مواد هذه الفهرسة (سعيد علوش ٥٥٦ ، ٥٥٧) ناهيك عن تلك النزعة الموصوفة آنفا عند المدارس المختلفة التى تحاول كل منها جعل أدب أمتها محورا تدور حوله الآداب العالمية ، وقد اتهمت المدرسة الفرنسية بذلك صراحة (ريمون طحان : ٩٥) ويكاد المرء يشعر أن الخلاف بين المدرستين الأمريكية والفرنسية الذى احتدم سنة ١٩٥٨م (مدارس الأدب المقارن صـ ٩٧ – ١٠٤) هو فى حقيقته خلاف على مناطق النفوذ فى عصر أيزنهاور صاحب مشروع ملء الفراغ .

عندما يرى الدارس العربى المقبل على دراسة الأدب العام والاشتغال به تلك الأمم التى تتضاءل توارخها ، وماضى حضارتها إلى درجة التقزم عند قياسها على التاريخ العربى الاسلامى وحضارته فإنه لابد سيشمر عن ساعد الجد ويأخذ فى إعادة الأمور إلى نصابها بإعادة صياغة ذلك التاريخ من جديد محاولا إبراز دور أمته ووضع كل مالها من تراث زاخر فى مكانه الصحيح اللائق به على لوحة الأدب العالمى وتاريخ الأدب العام .

ان هذا النوع من الدرس لهو الأولى بالعناية فى المستقبل لأنه علم المستقبل ،

ولا تكفى فيه الجهود الفردية ، بل ولا تصلح للتعامل معه الوسائل الحالية المعمول بها فى المؤسسات التعليمية القائمة ، إذ إنه لابُد من دمج العديد من التخصصات أو التقريب بينها على الأقل فى مرحلة الدراسات العليا بهدف تكوين الكفاءات العلمية المؤهلة للقيام بهذه الدراسة والنهوض بتبعاتها الجسام ، والعمل على تجنب الخلافات المنهجية والجدل العقيم الذى ولده عصر التبعية للمدارس الفكرية والمذاهب الأدبية الوافدة من كل حدب وصوب ، وجعل مستقبل الحضارة العربية الاسلامية فى كفة وكل تلك المظاهر السلبية فى كفة ، وجعل الاختيار بينهما الفيصل فى هذا الأمر .

إنَّ إعداد القوائم والفهرسات (الببليوجرافيات) وجمع مادتها وترتيبها وبرمجتها فى الأجهزة الخازنة وطباعتها وإصدارها بعدة من اللغات ليست بالأمر الهين ، وكذلك إعداد اللوحات الزمنية التوضيحية ورصد الموضوعات فيها ، ثم الشروع فى الدراسات المستفيضة للجوانب المختلفة من الأدب العام ، والانتقال من ذلك الى النقد والتمحيص ثم التجميع والوصول إلى المرحلة الموسوعية ، كل ذلك يتطلب منا جهودا عملاقة منظمة بلا تراخ ، وبتعاون مثمر لا مجال فيه للتردد أو الاختلاف لا فيما يتعلق بالمبدأ أو المنهج أو الغاية فحسب بل فى أبسط مجريات العملية من مبدأها إلى منتهاها ، ذلك أننا لسنا بصدد عملية تأريخ أدبى منفصل لكل أدب ، يضع كل ظاهرة بجوار أختها أو بازاء نقيضتها ، ويوازى بين الآداب ، وتواريخ الآداب ، وانما هى عملية إعادة بناء لهيكل تاريخ الأدب العالمى ، من حيث هو ظاهرة إبداعية إنسانية تفرقها أشياء وتجمع بينها أشياء ، وهى ليست بالعملية الهينة ، وبدون تعاون الأقسام العلمية المعنية بالآداب ، واللغات والعلوم الانسانية لن تؤتى ثمارها .

أما المحاور المقترحة لابرازها فى ثنايا هذا التصور الشامل لتاريخ الأدب العام فتتركز أولياتها ورءوس موضوعاتها فيما يلى :

أولا : إبراز دور الحضارة العربية الإسلامية فى حركة الفكر العالمى لا سيما

خلال العصور الوسطى التى شهدت ذروة ازدهار هذه الحضارة (٦٠٠م - ١٢٥٨م) (٦٥٦هـ) أى الى سقوط بغداد فى أيدى المغول ، ثم مرحلة عصر النهضة (١٤٥٣ - ١٦٣٥م) بفتح القسطنطينية من قبل العثمانيين إلى تأسيس الاكاديمية الفرنسية ، ثم فى العصر الحديث من سنة ١٧٠٤ يوم تمت ترجمة الليالى ونشرها فى فرنسه على يد أنطوان جالان .

ثانيا : إبراز دور الأدب العربى فى آداب اللغات الاسلامية ومدى تقاربها معه وتأثرها به حتى انها لتشكل معا وحدة واحدة ذات تاريخ مشترك ، لا يقل ، عن تلك الوحدة التى يشكلها الأدب الغربى (آداب اللغات الأوربية وروسيا والولايات المتحدة ، كما تصورها مؤرخو الآداب الأوربية فى مطلع القرن التاسع عشر (انظر : ويليك ووارين : ٦٢) ، بل اننا ندعى أن هذه الوحدة الموصوفة للآداب الأوربية وحدة مدعاة لا وجود لها الا فى تصورات الدارسين اذا ما قيست على وحدة اللغات الاسلامية وآدابها وتآزرها وتقارضها على مدى العصور .

ثالثا : دراسة حركة الترجمة كمجال من مجالات الأدب العام وابراز دور اللغة العربية كواسطة بين اللغات والآداب وأنها بحياتها الطويلة الممتدة قد قامت بدور الوعاء الحافظ للفكر والأدب القديمين بالإضافة إلى الفكر الإسلامى ، عبر العصور الوسطى التى وصلت اللغات التى كانت حية قبلها باللغات التى ولدت بعدها ومنها أكثر اللغات الأوربية التى أصبحت وعاء للحضارة الحديثة مؤخرا .

ولسوف تقابل هذه المحاولة صعوبات جمة ، كالجذور البعيدة فيما قبل التاريخ العربى المكتوب ، ودراسة الأجناس الأدبية التى لم تعرف فى العربية قديما ، والحركات الأدبية الحديثة والمذاهب وغيرها ، ولكنى على ثقة من أنها ستتجاوزها بثقة وثبات وهى أفضل كثيرا مما تجاوزت به المحاولات الأوربية والأمريكية ما قابلها من صعوبات حيث إن تلك المدارس قد لفقت وتنكرت تماما لحضارة العرب والمسلمين الذين يشكلون مركز العالم وقلب حضاراته فصارت محاولاتهم معيبة فى نظر الدارس المحقق ، ومع ذلك نالت من التقدير على المستوى العام أكثر كثيرا

مما تستحق ، بما ادعته من منهجية كاذبة ، وبارضائها كثيرا من النفوس التى تود ألا ترى على ظهر الأرض مسلما ، ومن هذه الدراسات : الأدب الأوربى والعصر الوسيط اللاتينى لارنست روبرت كورتيوس المطبوع فى برن ١٩٤٨م ، وكتاب المحاكاة والتعبير عن الحقيقة فى الآداب الأوربية ، لإيريك أورباخ المطبوع فى برن أيضا سنة ١٩٤٦م ، وكتاب الرومانسية فى الأدب الأوربى لبول فان تيجيم - المطبوع فى باريس سنة ١٩٤٨م ، (وانظر : فان تيجيم : ٢٠٥ - ٢٠٩ ، ويليك ووارين ص ٦٢ وحواشيه ص ٣٧٠ - ٣٧٤) .

وقد تأسست فى باريس سنة ١٩٢٨م الجمعية الدولية لتاريخ الآداب الحديثة برئاسة بالدنيسبرجر وأمانة فان تيجيم ، وعقدت خمسة مؤتمرات كان آخرها سنة ١٩٥١م ، ثم دخلت تحت مظلة اليونسكو ، ونالت بهذا تقدير المجتمع الدولى ، مع أنها لم تتجاوز فى اهتماماتها حدود الآداب الأوربية .

أما محاولة الأدب العام من قبل المسلمين والعرب فأحسب أنها تملك من مقومات النجاح أكثر مما يمتلك هؤلاء جميعا لأنها تعطى كل ذى حق حقه بموضوعية وصدق عرفا عنا وعن ديننا من قديم ، وهو ما يفتقر اليه الانسان الأوربى المتطرف ، الطامع دائما فيما فى أيدى الآخرين .

ومثل هذه المشكلات والصعوبات تمر بها كل دراسة فمنها ما يجد حلا ومنها ما يظل قيد البحث حتى ينتهى إلى حل ، ومهما تكن النتيجة فحركة العلم لا تتوقف ، وبعض قضايا العلوم المختلفة ما زالت بلا حل حتى الآن منذ قرون عديدة ، دون أن يؤثر هذا فى منجزات هذه العلوم أو يقلل من أهميتها .

ومشكلة كمشكلة ادعاء الغرب بأن الحضارة اليونانية هى أهم الحضارات وأنها الوليد المعجزة الذى ولد لغير أبوين ، وهوما يستشعر بإزائه الشرق بحضاراته وأديانه الخالدة ذروة التجنى من الغرب المتعالى ، لن تصمد كثيرا أمام التاريخ العام حيث إن إضافة تاريخ آداب حضارات الشرق القديمة كالمصرية والبابلية والأشورية

والفينيقية واليمنية (الحميرية) . . . الخ كفيلة بالرد عليه ، وكل ذلك تتقدم أعمال الكشف عنه حثيثا فى العصر الحديث وان كنا نرفض تلك الاضافة على المستوى القومى ، أى مستوى دراسة الأدب العربى لما يمثله من خطورة فصم عرى الأدب فى الأقاليم المختلفة عن بعضه وتوثيق عراه بتواريخ بائدة ، قد يكون فى بعثها على الساحة الحاضرة فصل للشعوب عن الرابطة التى جمعتهم منذ ظهور الاسلام وهى رابطة الدين واللغة ، وما زلنا عند رأينا هذا ، فإن ذلك لا يمنع من اضافة تلك التواريخ الى الأدب العام ، لضرورته المنهجية إكمالا لخارطة ذلك التاريخ العام وإثراء له وتأكيدا على دور هذه الأمم من أسلافنا فى بناء الحضارة ، وهو ما تشير اليه دراسات عديدة حول أثر حضارات الشرق القديمة فى الحضارة اليونانية ، وخاصة المصرية ، التى كان يتعشقها هيرودوت ويذكر فضلها فى تاريخه ، وظهر أثرها واضحا فى المسرح اليونانى ، وهو من أعز تراث الأسلاف عند الأوربيين على مر العصور ، ومناط فخرهم (انظر : ملامح مصرية فى المسرح الاغريقى - على نور : ٥ - ١٨) ، وكذلك الفارسية التى ولد احتكاكها باليونان عسكريا والذى انقضى فى صدر القرن الخامس قبل الميلاد عصر ازدهار الحضارة اليونانية الذى يظن أنه على غير منهج سابق ، فاذا أضيف الى هذا الصلات القديمة المعروفة بين العرب ولغتهم وبين تلك الحضارات ، وهو ما يكاد يكشف عنه التاريخ الحديث بالنسبة للمصريين القدماء ولغتهم ، وعروبتهم التى أثبتها أحمد زكى باشا ، كانت محصلة كل ذلك تاريخا من نوع يختلف تماما عما يروج له الآن فى أروقة الجامعات والمعاهد الأوربية والأمريكية .

وكذلك دراسة أجناس الأدب ستكشف عن مدى عمق الأجناس الأدبية عند العرب وأصالتها وتنوعها لتلبية حاجات نفوس البشر وطبائعهم وأذواقهم ، وتكشف أيضا عن مدى واقعيتها وارتباطها بحاجات الانسان وثقافته ومعارفه الراقية ومعتقداته الحقة ، بمضامينها الانسانية الرفيعة ، وكذلك أطرها الفنية ذات السمات الفريدة التى لا تجارى ، وذلك فى مواجهة الأجناس الأدبية التى عرفت

قديما لدى الأمم البدائية ، والتى يعتز بها الأوربيون أيما اعتزاز ويحاولون فرضها علينا ، والتى يظهر للدارس مدى ما كانت عليه من سخف واستخفاف بعقول البشر بما تجنح اليه من خرافات وموضوعات لا تليق بالأمم المتحضرة كالملحمة التى ماتت لأنها لم تستطع معايشة الحياة المتحضرة والمدنية العاقلة فى العصر الحديث ، وكذلك المأساة التى كانت تعتمد على أنواع من الصراع ، وموضوعات تليق ببيئة محدودة وانسان ذى طبيعة خاصة ، هو الانسان الأوربى الذى لا يحيا الا على حساب غيره ، ولذلك لم تستطع النفاذ الى زمن جديد وأمم جديدة ، تحكمها أفكار حكيمة ، كأمة الاسلام مثلا .

أما الحركات الأدبية والمذاهب الأدبية فموقفنا منها ثابت ونعلم أنها قد صدرت عن أفكار وفلسفات ذات طابع مادى متطرف ودراستها ستبين مدى ما هى عليه من تطرف وسمات محلية تليق بأهلها ولا تصلح لتكون ظاهرة أدبية انسانية عامة ، على العكس من الحركات الأدبية المنبعثة من أدبنا فهى الأولى بالخلود والانتشار .

إن نظرية الأدب التى ستنطلق منها نظرية الأدب العام ، ستكون بعد تعرضها للاختبار والتمحيص فى العديد من الدراسات نظرية عامة تحكم مواضعات الدراسات المختلفة الكاشفة عن جوانب الدراسة والبحث المتعمق فى التاريخ الأدبى العام ، والذى سينهض به من معاصرينا ، ومن بعدنا متخصصون ودارسون وهبوا أنفسهم لهذه المهمة الجليلة فى احقاق الحق واعادة الأمور فى نصابها من خلال دراساتهم التى سيقوم على نشرها بسائر اللغات هيئات وأفراد آمنوا بقيمة هذه الدراسات وجدواها لمستقبل أفضل للبشرية جمعاء ، وعندها سنجد أدبنا الذى طالما ظلم وغمط حقه قد صار من تلقاء نفسه أدبا عالميا بالمفهوم الشائع وصارت روائعه مما يعد فى التراث العالمى الخالد الذى تعتز به البشرية فى اجيالها المتعاقبة والى ما شاء الله .

★ ★ ★

المراجع

١ - آسين بالاسيوس :
أثر الاسلام فى الكوميديا
ت : جلال مظهر - الخانجى سنة ١٩٨٠م .

٢ - الكساندر ديما
مبادىء علم الأدب المقارن
ت : محمد يونس - دار الشئون الثقافية العامة - بغداد سنة ١٩٨٧م .

٣ - بديع محمد جمعة
دراسات فى الأدب المقارن - دار النهضة بيروت سنة ١٩٧١م .

٤ - جويار
الأدب المقارن
ت : محمد غلاب - لجنة البيان العربى - مصر - ١٩٥٦م .

٥ - الحارث المحاسبى
كتاب التوهم - دار التراث - مصر - سنة ١٣٩٩ .

٦ - حسين محمد فهيم
أدب الرحلات
المجلس الوطنى الكويتى - عالم المعرفة - ١٣٨ - سنة ١٤٠٩ .

٧ - داود سلوم
دراسات فى الأدب المقارن التطبيقى
وزارة الثقافة - العراق - ١٩٨٤ .

٨ - رشا حمود الصباح
التصورات الأوربية للاسلام فى العصور الوسطى وتأثيرها فى الكوميديا الالهية
مجلة عالم الفكر : ١١ / ٣ / ١٩٨٠ - ص ٨٥ - ١٠٠ .

٩ - ريمون طحان
الأدب المقارن والأدب العام .
دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ١٩٧٢ .

١٠ - رينيه ويلك - أوستن وارين
نظرية الأدب
ت : محيى الدين صبحى - المجلس الأعلى للفنون والآداب - سورية .
ت : عادل سلامة - دار المريخ - السعودية - سنة ١٩٩١م .

١١ - زكى مبارك
النثر الفنى فى القرن الرابع - دار الكاتب العربى - مصر .

١٢ - سامى سعيد الأحمد (مترجم)
ملحمة گلگا مش : دار الجيل - بيروت - دار التربية - بغداد - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٣ - سعيد علوش
مدارس الأدب المقارن-المركز الثقافى العربى - المغرب - ١٩٨٧م .

١٤ - سعيد علوش
مكونات الأدب المقارن فى العالم العربى-سوشبريس - الدار البيضاء - ١٩٨٨ .

١٥ - سيد قطب :
مشاهد القيامة فى القرآن - ط ٧ - سنة ١٩٨١م - دار المعارف .

١٦ - شوقى السكرى
مناهج البحث الأدبى المقارن
مجلة عالم الفكر - عدد خاص عن الأدب المقارن مجلد ١١ - عدد ٣ سنة ١٩٨٠ ص ١١ - ٤٠ .

١٧ - صلاح فضل
تأثير الثقافة الاسلامية فى الكوميديا ـــ مؤسسة شباب الجامعة - مصر - سنة ١٩٨٥م .

١٨ - الطاهر أحمد مكى
الأدب المقارن دار المعارف - مصر - ١٩٨٨م .
١٩ - طه ندا
الأدب المقارن دار المعارف - مصر - ١٩٨٠م .
٢٠ - عبد الرحمن بدوى
دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى
ط٣ - ١٩٧٩م - وكالة المطبوعات بالكويت ، دار القلم - بيروت .
٢١ - على نور
ملامح مصرية فى المسرح الاغريقى
الدار القومية للطباعة والنشر - مصر - د . ت .
٢٢ - أبو العلاء المعرى :
رسالة الغفران - ت : عائشة عبد الرحمن - دار المعارف - ط٧ - سنة ١٩٨١م
٢٣ - عمر فروخ
ابن طفيل وقصة حى بن يقظان
بيروت - ط٢ سنة ١٣٧٨ - ١٩٥٩م .
٢٤ - فان تيجيم
الأدب المقارن
ت : سامى الدروبى - دار الفكر العربى سنة ١٩٤٨ ، ط٢ : د . ت
ت : سامى مصباح الحسامى - المكتبة العصرية - لبنان - د . ت .
٢٥ - كراتشكوفسكى
تاريخ الأدب الجغرافى العربى
لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر سنة ١٩٦٥م .
٢٦ - لوسيان بورتييه
موضوع المصادر الاسلامية للكوميديا
ترجمة ابتهال يونس - مجلة فصول - مجلد ٣ - عدد ٣ سنة ١٩٨٣م .

٢٧ - محمد التونجى
دراسات فى الأدب المقارن
دار العربية - سورية - سنة ١٩٨٢م .

٢٨ - محمد على دقة :
المحاسبى قبل دانتى - مجلة العربى (٤١٣ - ابريل سنة ١٩٩٣م) .

٢٩ - محمد غنيمى هلال
الأدب المقارن
نهضة مصر - سنة ١٩٧٧م .

٣٠ - نجيب عقيقى
فى الأدب المقارن
دار المعارف - مصر - سنة ١٩٤٨م .

٣١ - ول ديورانت
قصة الحضارة جـ ١٧
لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر - ط ٢ سنة ١٩٦٧م .

★ ★ ★